مجلة كلية العلوم الإسلامية

المجلد الثاني العدد الثالث ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

الاستدراج في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة

د. رياض هاشم هادي(*)

ملخص البحث

جاء هذا البحث ليدرس الاستدراج في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة من خلال خمسة مباحث تناول الأول (معنى الاستدراج في اللغة وعند عموم المفسرين) في حين تضمن الثاني دراسة (استدراج الكفار والعصاة) أما المبحث الثالث فتناول (استدراج المكذبين والمنافقين) في حين تناول الرابع (استدراج الأمم) وخصص الخامس لبيان (سنة الله تعالى العامة في المستدرجين).

قام الباحث بدراسة نماذج مختارة من الاستدراج من خلال كيفية وقوعة وما يترتب على ذلك في نصوص من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة على وفق مفهوم الاستدراج الذي تم تحديده في المبحث الأول.

ABSTRACT

This paper came to study the temptation in the Holly Quran and Sunna through five researches, the first one took (the meaning of temptation in the language and among public explainer) while the second one took the study of (the temptation the disbelief and disobedience), the third took (the temptation of the disbelievers and Hypocrites) while the fourth one took (the temptation of the nations) the last one took (Allah's Sunna in General of the temptation).

This paper study the choosing symbols from the temptation through it and what happened by it and what result from the texts of the Holly Quran and Sunna according to the understanding of the (temptation) which fixed the first research.

(*) أستاذ مساعد في قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الموصل.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد فإن الحديث عن موضوع الاستدراج في القرآن في بضع صفحات لا يفي هذا الموضوع غرضه. غير انه لابد من تقديم صورة مبسطة عن معنى الاستدراج لغة واصطلاحاً. ثم كيف يتم الاستدراج؟ وكيف يقع للأمم والدول والقرى والملوك والرؤساء والافراد؟

ورد الاستدراج في الخطاب القرآني في موقعين: أولهما قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ(١٨٢)وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ (الأعراف ١٨١-١٨٣) والثاني قوله تعالى: ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ(٤٤)وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ (القلم ٤٤-٤٥). ولقد وفق الله تعالى علماء الإسلام بالبحث والتحليل في استنباط الفوائد الدينية والدنيوية المستقاة من موضوع الاستدراج؛ لأن البيان الإلهي ليس مهمته فقط أن يستعرض لنا بالحديث حال الأمم والأفراد من الذين استدرجوا ووقعوا تحت طائلته فهذه الأحوال والأيام متداولة بين عباد الله تعالى حتى تقوم الساعة وليست مقصورة على أمه دون غيرها أو فرد دون سواه لان البيان الإلهي عندما يحدثنا عن حال الأمم والأفراد الطغاة الذين عاشوا قبلنا يحاول أن يذكرنا ويعظنا، بما حل بهم بسبب استدراجهم نحو الطغيان. فبعد قرن أو يزيد ينطبق علينا البيان الإلهي، من حيث معرفة كيف أن الله ﷻ اهلك أمماً ودولاً وملوكاً ورؤساء وحكاماً كانوا في عصرهم جبابرة وظلموا واستدرجوا فهم لا يشعرون فحق عليهم غضب الله فمحقوا وزالوا واصبحوا عبرة ولكن هل من متعظ؟

والبيان الإلهي إذا عندما يخاطبنا يخاطب الحاضر الموجود بما حل للأمم السابقة. فالخطاب القرآني حدَّث المسلمين في عصر الرسول (ﷺ) بما حصل لفرعون وهامان وجنودهما وقارون وعاد وثمود وغيرهم من الذي استدرجوا بسبب غواية الشيطان لهم وظنوا أن الدنيا لهم وأن الحياة الدنيوية دائمة لهم وانه ليس هناك قوة في الأرض قادرة عليهم، فمناهم الشيطان وغرهم بكفرهم، وما يعدهم الشيطان الا غروراً، ظنوا أن ما هم فيه من نعمة وخير وجاه جاء بسبب حب الله لهم وانه ناصرهم وهو يودهم وألا لما دام حكمهم.

فأستمروا بالظلم والفجور واساءوا إلى الناس وانتهكوا الحرمات وعبثوا بالمقدسات. وهم يظنون أن هذا خير لهم ونسوا أو تناسوا أن الله ﷻ قد نهاهم عن ممارسة الطغيان والجري وراء الشيطان. بل أن الخطاب القرآني نهاهم بشكل حازم عن إتباع الشيطان وحذرهم من إتباعه وأمرهم بأن يجعلوا منه عدواً لهم. لأن إتباع الشيطان يجرهم إلى الهلاك بسبب الاستدراج. إلا أن هؤلاء الجبابرة من الملوك والحكام والقادة والرؤساء وأعوانهم من الذين كانوا عونا لهم ومارسوا بحق عباد الله أقسى أنوع البطش والاضطهاد ودفعهم استدراج الشيطان لهم إلى ترك سنة الله بإشاعة الرحمة والعدل بين الناس وإحقاق الحق ورفع الظلم والبعد عن تغير نعمة الله بالكفر والبطر.

أن مثل هؤلاء الطغاة متواجدون في كل زمان ومكان وألا لما جاء البيان الإلهي محذراً لأمثالهم، وهؤلاء الطغاة الذين يقعون تحت الاستدراج يكونون في العادة مدفوعين بما يحصل لهم من نعمه ظانين أنها خير لهم مما يدفعهم إلى المزيد من الاستمراء في الطغيان والظلم... فهؤلاء الطغاة عندما تحقق لهم أهدافهم الدنيوية كالانتصار في الحروب الظالمة وقهر شعوبهم واغتصاب حقوقهم يظنون بسذاجة الأطفال أن الله معهم وانه ناصرهم ومؤيدٌ لهم. في حين أنهم نسوا أن غضب الله واقع عليهم لا محالة طال الدهر بهم أم قصر فهذه سنة الله بالظالمين ﴿ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ فعليه جاءت هذه الدراسة المتواضعة لتسلط الضوء وتقدم للقارئ الكريم صورة عن معنى الاستدراج في القرآن والسنة، وكيف يتم الاستدراج ويقع على الأمم والدول والأفراد وذلك بظلمهم لأنفسهم والوقوع في حبائل الشيطان.

كما أن هناك استدراجا آخر أكثر خطورة من استدراج الأمم والقادة هو استدراج الأفراد، الذين قال فيهم الله تعالى ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا(١٠٤)أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ (الكهف ١٠٤- ١٠٥). فالبعض من الأفراد يرى في أعماله ومكانته بين الناس بأنه مميز وانه على صواب في حين انه قد يكون على خطأ وانه مستدرج ولا يرى ذلك ويدفعه غروره إلى الكفر بالله ونعمته بل أحيانا يصل به الحد إلى الادعاء بما ليس فيه من أفعال، ولو

رجع مثل هؤلاء إلى أنفسهم قليلا لربما وجدوا أنهم في الطريق الخطأ على الرغم مما يحصل لهم من نعمة وخير ورفعة بين الناس، لأن الأفراد في مثل هذه الأحوال إذا لم يراجعوا أنفسهم ويتحققوا منها فأنهم سيقعون في حبائل الشيطان ويستدرجون من حيث لا يعلمون وقانا الله شر الاستدراج وعافانا منه.

فكانت خطة الدراسة تعتمد على العديد من المباحث مبتدئة بالحديث عن معنى الاستدراج لغةً واصطلاحاً ثم استدراج الأمم والدول ثم استدراج المكذبين ثم المنافقين وهكذا. وعلى الرغم من قلة المصادر والمراجع التي تتحدث بالتفصيل عن الاستدراج وبشكل مباشر، الأ أننا والحمد الله تعالى وجدنا ظالتنا في كتب التفسير المتنوعة لعلمائنا الأفاضل وكتب السيرة والتراجم وبعض الكتب المعاصرة من التي منّ الله على أصحابها في الكتابة في هذا الموضوع خدمة للإسلام والمسلمين. ومن الله التوفيق.

المبحث الأول

معنى الاستدراج في اللغة وعند عموم المفسرين

معنى الاستدراج في اللغة

جاء في لسان العرب أن معنى درج أي درج البناء ودرجّه بالتنقل. مراتب بعضها فوق بعض. واحدثه درجه ودُرجّه مثال همزة الأخيرة عن ثعلب[١].

والدرجة: هي الرفعة في المنزلة والدرجة: المرُقاة. والدرجة واحدة الدرجات وهي الطبقات من المراتب. والدرجة أيضا هي المنزلة والجمع درج ودرجات الجنة: منازل ارفع من منازل[٢].

وفي الصحاح : الرجلُ والضب يدرجُ درجا. أي مشى، دَرَجَ ودَرج أي مضى لسبيله[٣].

ودَرجَ القوم إذا انقرضوا والاندراج مثله[٤].

ويقال: درجَتَ العليل تدريجاً إذا أطعمته شيئاً قليلاً وذلك إذا فقه حين يتدرج إلى غاية أكله كما كان قيل العلة درجه[٥].

وقيل أيضا في معنى درجّ ورجع فلان درجّه إذا رجع في الأمر الذي ترك. وفي حديث أبي أيوب الأنصاري (ﷺ): قال لبعض المنافقين وقد دخل المسجد أدراجك يا منافق، الادارج: جمع درجّ وهو الطريق. أي اخرج من المسجد وخذ طريقك الذي جئت منه(٦).

وروي في معنى الاستدراج أيضاً ما ذكره الزبيدي بقوله وروي عن أبي الهيثم امتنع فلان من كذا كذا حتى أتاه فلان و (استدرجه) أي (خدعه) حتى حمله على ان درج في ذلك وقبل استدرجه (رقاه) و(أدناه) منه على التدرج هو (كدرجه) ويقال مثلاً استدرج فلان (الناقة) إذا استبتع ولدها بعدما ألقته من بطنها(٧).

وجاء في معنى استدرجته، جعلته كأنه يتدرج بنفسه على وجه الأرض من غير إن ترفعه إلى الهواء. فيقال دَرَجت الحصى واستدرجت الحصى. لما درجت به عليه جرياً شديداً(٨). درجت في سيرها وما استدرجته. فصيرته بحرية عليها. إلى أن درج الحصن هو يتنفس وقيل ذهب دمه أدراج الرياح أي هدراً(٩).

وجاء في معنى الاستدراج (واستدراج الله تعالى العبد) بمعنى انه لما جدد خطيئة جدد له نعمة وأنساه الاستغفار(١٠). وجاء في البيان الإلهي ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١١). أي سنأخذهم من حيث لا يحتسبون وذلك أن الله تعالى يفتح عليهم من التعليم ما يغتطبون به فيركنون اليه ويأنسون به فلا يذكرون الموت. فيأخذهم على غرتهم اعقل ما كانوا ولهذا قال الخليفة عمر ابن الخطاب (ﷺ) لما حمل اليه كنوز كسرى: اللهم اني اعوذ بك ان اكون مستدرجاً فأني اسمعك تقول "سنستدرجهم من حيث لا يعلمون"(١٢).

وقيل في استدراج الله ﷻ للعبد ما ذكره الراغب الاصفهاني (أي ان يأخذه قليلاً قليلاً ويباغته)(١٣). وقال ابو سعيد عن معنى الاستدراج (أي استدرجه كلامي أي اقلقه حتى تركه يدرج على الارض) وقال الاعشى:

ليستدرجك القول حتى تهزه وتعلم اني منكم غير ملجم(١٤).

وقيل استدرجه أي رقاه من درجة الى درجة وقيل استدعى هلكه من درج(١٥). وقيل عن الاستدراج في بصائر ذوي التمييز أي استدرج الله المرء، أي جره قليلاً قليلاً إلى العذاب والهلكه والتدمير(١٦).

معنى الاستدراج عند عموم المفسرين

لقد تحدث جميع المفسرين من علماء المسلمين الافاضل عن معنى الاستدراج عندما حاولوا تفسير قوله تعالى ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٧). وجاءت تفسيراتهم متشابهة الى حد ما. غير انها تختلف بعض الشيء، وسوف نحاول هنا استعراض اغلب كتب المفسرين من الاوائل والمحدثين.

١. جاء في تفسير الامام الطبري لمعنى الاستدراج "فيجازيه بها من العقوبه ما قد اعدله وذلك استدراج الله اياه. واصل الاستدراج اغترار المستدرج بلطف من حيث يرى المستدرج انه المستدرج الى محسن" حتى يورطه مكررها(١٨).
٢. جاء في تفسير البيضاوي لمعنى الاستدراج "استدرجه الى كذا كذا اذا استنزله من علو إلى سفل(١٩).
٣. جاء في تفسير الزمخشري: استدرجه الى كذا اذا استنزله اليه درجة فدرجةً حتى يورطه فيه(٢٠).
٤. جاء في تفسير القرطبي: الاستدراج هو الأخذ بالتدريج منزلة بعد منزلة. فالاستدراج ان يحط درجة بعد درجة(٢١).
٥. جاء في تفسير ابن كثير: ان الاستدراج: هو الله ﷻ يفتح لهم ابواب الرزق ووجوه الخير والمعاش في الدنيا حتى يغتروا بما هم فيه ويعتقدوا انهم على شيء(٢٢).
٦. جاء في تفسير البرسوي: ان الاستدراج أي استقربهم البتة الى الهلاك على التدرج. واصل الاستدراج: اما الاستصعاد وهو النقل من أسفل الى أعلى درجة. واما الاستنزال وهو النقل من علو الى اسفل كذلك والانسب هو النقل الى اعلى درجات المهالك ليبلغ اقصى مراتب العقوبة والعذاب(٢٣).
٧. جاء في تفسير الطوسي لمعنى الاستدراج قوله ان الذين كذبوا بآيات الله التي تضمنها القرآن للمعجزات الدالة على صدق النبي محمد (ﷺ) وكفروا بها سنستدرجهم من حيث لا يعلمون استدراجاً لهم الى الهلكة حتى يوقعوا فيها بغتة من حيث لا يعلمون(٢٤).

٨. جاء في تفسير الآلوسي: الاستدراج هو استفعال من الدرجة بمعنى النقل درجة بعد درجة من سفل الى علو فيكون استصعاداً او بالعكس فيكون استنزالاً[٢٥].

٩. جاء في تفسير المنار: الاستدراج مأخوذ من الدرج. مصدر درج او من الدرجة وهي المرقاة. وقيل معناه سنأخذهم درجة درجة وذلك إدناؤهم من الشيء شيئاً فشياً كالمرائي والمنازل في ارتفاعها ونزولها[٢٦].

١٠. وجاء في تفسير في ظلال القرآن: والاستدراج هو (انها سنة الله مع المكذبين. يرخي لهم العنان ويملي لهم في العصيان والطغيان، استدراجاً لهم في طريق الهلكة. وامعاناً في الكيد لهم والتدبير)[٢٧].

١١. وجاء في تفسير الخازن: ان الاستدراج هو كما قال الازهري سناخذهم قليلاً قليلاً من حيث لا يحسبون وذلك ان الله تعالى يفتح عليهم من النعيم ما يغتبطون به. فيزدادون بذلك تمادياً في الغي والضلال ويتدرجون في الذنوب والمعاصي[٢٨].

المبحث الثاني

استدراج الكفرة والعصاة

مما سبق عرضه تبين لنا أن معنى الاستدراج في شكله العام هو الأخذ بالتدريج منزلة بعد منزلة وهو استفعال من الدرجة بمعنى النقل درجة بعد درجة من سفل الى علو فيكون استصعاداً او بالعكس فيكون استنزالاً[٢٩]. وهو بذلك سنة الله في العباد وان اختلف بعضهم في تحديد معنى الاستدراج الا أن الجميع يؤكدون أنه استدراج نحو الهلاك[٣٠]. والموت بسبب العصيان والطغيان[٣١].

وفي هذا المبحث سنحاول الوقوف على نوع مهم من انواع الاستدراج هو استدراج الطغاة والعصاة والكفرة الذين مناهم الدهر فكانوا عن آيات الله غافلين فحق عليهم غضب الله فدخلوا جهنم خالدين.

ولقد اخترنا للاستدراج الفردي حالات ذكرها البيان الالهي عن بعض هؤلاء الذين استدرجوا وسوف نقدم حالة او أنموذجاً للطاغية فرعون الكافر وأنموذجاً للعاصي الكافر قارون.

قدم لنا البيان الإلهي كثيراً من الآيات القرآنية الكريمة التي جاءت في عديد من السور القرآنية عن فرعون[٣٢]. تتحدث عن هذا الطاغية وساقت لذلك كثيراً من الشواهد للدلالة على كيفية استدراج فرعون وغيره من الطغاة الى الهلاك بسبب سوء ادراكهم الهدف من نعمة الله التي انعمها عليهم. فبدلاً من التواضع والخوف من مكر الله انساقوا وراء الشيطان الذي منّاهم بالغرور والكفر والطغيان. ومما جعلهم ينساقون وراء نزواتهم الشيطانية. ما حصل لهم من نعيم وخير وصحة وهناء واعتدال في كل شيء[٣٣].

فكان أنموذج الطاغية فرعون من اسوأ النماذج التي قدمها البيان الالهي عن شرور الطغاة وتجبرهم فهو من اكثر الطغاة الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم مما يدل على كثرة شروره واستعداده المتناهي للاستدراج. وان البيان الألهي عندما يقدم لنا فرعون بوصفه أنموذجاً للطاغية المستدرج الهدف منه هو للعبرة والتذكير وليس للعرض القصصي الجامد. ومما يؤكد أن فرعون قد استدرج بشكل تلقائي نحو الطغيان ثم الكفر. ما قدمه البيان الألهي عندما خاطب نبي الله موسى (عليه السلام) ربه بقوله ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [٣٤].

وجاء في تفسير هذه الآية ما يدل على معنى الاستدراج عندما قال نبي الله موسى (عليه السلام) ((ربنا انك أعطيت فرعون وملأه يعني قومه ورؤساءهم زينةً واموالاً في الحياة الدنيا. يقول المفسرون وإنما أعطاهم الله تعالى ذلك للأنعام عليهم مع تعرية من وجوه الاستفساد (والزينة) ما يتزين به الناس من الحلي والثياب والمتاع ويجوز أن يراد بها حسن الصورة (ليضلوا عن سبيلك) فهذه لام العافية وهو ما يؤول إليه الأمر كقوله تعالى ﷻ ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [٣٥]. وكقوله تعالى ﴿أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [٣٦].

وجاء في تفسير هذه الآية "أي لئلا يقولوا، ولا يجوز أن تكون لام الغرض لأن الله تعالى لا يفعل بهم الزينة ويطعمهم ويريد منهم أن يضلوا. بل إنما يفعل لينتفعوا ويطيعوه ويشكروه"[٣٧].

فالأصل أن النعمة التي ينعم الله تعالى بها على الإنسان توجب الشكر والنعمة. غير إن هؤلاء الطغاة كفرعون وغيره من الجبابرة المارقين يدفعهم غرورهم وشياطينهم إلى نكران حق الله في هذه النعم. ثم التباهي بان الذي هم عليه هو من عند أنفسهم وحب الله لهم وكأن هذا الخير بعلمهم وذكائهم وهكذا يتحول هذا الطاغية شيئاً فشيئاً إلى الإنكار لفضل الله عليه. بل ينكر ذلك بكل جحود ويتحول بمرور الزمن مع حالة الاستدراج التي تحصل له بأنه مؤيد من الله تعالى ولهذا حصل له هذا التوفيق. فهو يتحول درجة درجة إلى الهلاك وهو مؤمن بأنه لم يجحد نعمة الله لأن الله ليس هو المتفضل عليه بل عقله وحب الله له دعا الله الى تفضيله على سائر الناس وهذا بالتالي يدفعه إلى ظلم الناس بعد ان ظلم نفسه بانكار حق الله عليه ويسعى إلى إلحاق الضرر بالناس والإساءة إليهم ثم يتحول بعد فترة إلى ادعاء الألوهية وهذا ما حصل مع الطاغية فرعون[٣٨]. وغيره من الجبابرة الذين اتوا من بعده.

وجاء البيان الإلهي موضحاً هذه الحالة التي يقع فيها الطغاة من أصحاب السلطة من الملوك والأمراء بقوله تعالى ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [٣٩].

وجاء تفسير قوله تعالى عند عموم المفسرين بهذا المعنى أي "أنهم (الطغاة) سيسترسلون في غيهم وضلالهم من حيث لا يدرون شيئاً من عاقبة أمرهم لجهلهم سنن الله تعالى في المنازعة بين الحق والباطل والمصارعة بين الضار والنافع وكون الحق يدفع الباطل. وما ينفع الناس يصدع ما يضرهم. وحتى يغتروا بما هم فيه ويعتقدوا أنهم على شيء. كما قال تعالى ﷻ ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ(٤٤) فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٤٠].

ويأتي البيان الإلهي ليبين النتيجة التي لا يتوقعها هؤلاء الطغاة من أصحاب السلطة. الذين دعتهم سلطتهم إلى البغي وظلم الناس والبطش بهم وإذلالهم، ثم دفعهم غرورهم ذاك إلى الكفر ونكران حق الله عليهم وبالتالي ادعاء الربوبية ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ [٤١]. وجاء في تفسير هذه الآية إن فرعون ادعى بنتيجة الاستدراج المستمر الربوبية ونكران الله والجحود به[٤٢]. قال فرعون مخاطباً موسى ﴿لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ

﴿الْمَسْجُونِينَ﴾ [٤٣]. وجاء هذا البيان الإلهي معبراً بشكل حقيقي وجوهري عن الحالة التي يصل إليها الطغاة من الحكام والملوك المستدرج بهم بأن يدعوا الربوبية، إي هلاك هذا؟ وما هو الجزاء أذن بعد كل هذا الاستدراج الذي سوف يحصلون عليه كنتيجة لهذا الادعاء المارق الكافر الفاجر؟ فمن المؤكد أنهم استدرجوا إلى الهلكة والموت واستحقاق غضب الله ﷻ. فلم يعد بالا مكان العودة إلى الوراء بعد كل هذا ويأتي البيان الإلهي مبيناً العقوبة التي يستحقها مثل هؤلاء الطغاة الذين جعلوا من الشيطان رفيقاً لهم ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [٤٤].

وجاء في معنى (وأملي لهم) أي أطيل لهم المدة وأملهم وأوخر عقوبتهم[٤٥]. إلى أجل قريب ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [٤٦]. أي شديد قوي وأصله من المتن وهو اللحم الغليظ إلي من جانب الصلب وجاء عقاب الله ﷻ لفرعون الطاغية ووزيره هامان وغيرهم من الطغاة المجرمين سابقاً ولاحقاً الذين دفعهم استدراجهم إلى عمل كل شيء وبكل غرور وصلف ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [٤٧]. ويستتبع القرآن الكريم مكملاً جزاء هؤلاء الذين أدعوا الربوبية والكفر بالله ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ [٤٨]. وهكذا يفعل الله بالمجرمين وجاء في تفسير قوله تعالى ﷻ أن الله هو الذي سلط على فرعون وأهله الماء حتى دخل بيوت القبط دون بني إسرائيل حتى قارب؛ الماء تراقيهم ودام عليهم سبعة أيام وقيل أربعين. ومن سنة الله تعالى في الاستدراج للطغاة والكفرة أن هذا الماء انبت الزرع والكلأ حتى ظن فرعون وأعوانه أنه نعمة من الله عليهم فقالوا كان ذلك الماء نعمة وكذّبوا موسى نبي الله الذي قرر لهم بأن الماء هو عقوبة من الله عليهم. فبعث الله عليهم الجراد تأكل جميع زروعهم تلك التي تباهوا بها حتى قيل إنها كانت تأكل السقوف والأبواب حتى تتهدم ديارهم على رؤوسهم[٤٩]. فلما رأى فرعون أن دور بني إسرائيل ومساكنهم لم يصبها الأذى سألوا موس (عليه السلام) أن يدعو ربه ويرفع هذا البلاء فيؤمنوا به وبربه[٥٠]. ولما دعا لهم نبي الله موسى ربه وكشف عنهم الضرر ورفع عنهم هذا العذاب. إذا هم عائدون مستدرجون إلى كفرهم

وعنادهم وطغيانهم ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (٥١). وهكذا هي حال الكفار من الطغاة غير أنهم لم يفلتوا من عقاب الله الذي ينتظرهم وإن عادوا فإن هذا لا يجديهم نفعاً ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٥٢). هل ينفع يا ترى أيمان الطاغية فرعون بعد أن حق عليه قول الله ﴿آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ(٩١) فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ (٥٣).

جاء في تفسير قوله تعالى(ننجيك ببدنك) نلقيك على نجوة من الأرض ببدنك عرياناً دون روحك ومعنى قوله ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾(٥٤). أي لمن يأتي بعدك ممن يراك على تلك الصفة وقد كنت تدعي الربوبية(٥٥). وذهب أبن عباس (ﷺ) إلى القول (إن كثيراً من الناس عن آيتنا لغافلون) إخبار منه تعالى أن كثيراً من الخلق (المستدرجين) غافلون عن الفكر في حجج الله وبيناته أي ذاهبون عنها بفعل (الاستدراج) والغفلة.(٥٦). فكما أسلفنا إن البيان الإلهي عندما قدم فرعون صورة للطغاة الذين استدرجوا وكانوا عن آيات الله لغافلين فيه عبرة للناس والبشر جميعاً في كل زمان ومكان وإلى قيام الساعة وعليهم أن يستحضروا في أفكارهم هؤلاء الطغاة وأن يتوخوا الحذر من الحذو حذوهم(٥٧). وانتهاج نهجهم في الضلالة والكفر.

الأنموذج الثاني من حالات الاستدراج للعصاة

يعدّ القرآن قارون من اشد العصاة الكفار الذي استدرجوا نحو العصيان والضلال. إذ ليس الهدف من استعراضه لهذه النماذج الاّ للعبرة والاستذكار وليس للقراءة والإطلاع. إنما هو استحضار دائم لهم ولما آلوا إليه من مصير مؤلم .

كان قارون من قوم موسى (عليه السلام) وكان من المقربين إليه من بداية الأمر وقيل هو ابن عم موسى (عليه السلام)، وكان قارون كما تصفه كتب التفسير حسن الصوت والصورة وكان

عاكفاً على قراءة التوراة محباً للعلم ويسعى إليه أيام نبي الله موسى (عليه السلام). وكان قارون قد دعا الله ﷻ ان يرزقه مالاً كثيراً وينعم عليه ويعهد بأنه سوف يعطي حق الله منه واستجاب له الله ﷻ لما أراد وجعله من أغنى أغنياء الناس في عصره[٥٨]. ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾ [٥٩].

وجاء في تفسير قوله تعالى عند عموم المفسرين (ان قارون امتلك من الأموال ما جعله أغنى رجل آنذاك حتى قيل إن مفاتيح الصناديق التي تحتوي على كنوز قارون، لابد من مجموعة من الرجال لحملها ووضعها على الدواب. وكان قارون دائم التباهي أمام الناس بما يمتلكه من هذه الاموال العظيمة حتى دفعه ذلك إلى البغي وظلم الناس والسعي إلى التسلط عليهم بهذا المال. ولما قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين وكانوا يقولون له ذلك على سبيل النصح والإرشاد قال لهم مخاطباً وبكل غرور، نتيجة للاستدراج الذي وقع فيه من حيث النعمة والصحة والخير والنعيم الذي هو فيه دون غيره: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي﴾[٦٠]. أي إن الذي أنا فيه من نعمة هو عائد إلي لأن الله يحبني وحبه لي جعل لي هذا المال وهو بذلك ينكر حق الله تعالى في انه هو الذي وهبه هذا المال الوفير. وانه يجب على قارون أن يعطي حق الفقراء والمساكين من هذا المال. ويقدم لنا القرآن الكريم حواراً شيقاً في معرض حديثه عن قارون وقصته مع قومه[٦١].

ولما كانت سنة الله في الاستدراج والاختبار أن يرد القرآن الكريم على تخرصات قارون طاغية المال وكل من هو على شاكلته من طغاة المال وعبيده من الذين جعلوا من اموالهم وسيلة للظلم والبغي على الناس والتصدي على حقوقهم البشرية والمالية. وبلغ من استدراج قارون انه كان يخرج إلى الناس في موكب عظيم تمشي أمامه العبيد وتحمل امتعته وملابسه عديد من المراكب المزينة قيل تصل إلى ستين بغلاً حتى دفع حاله بعض الناس إلى القول ﴿يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[٦٢]. فكان استدراج قارون مثلاً عظيماً لعموم الناس وتحذيراً لمن يقعون تحت الاستدراج من دون أن يشعروا بذلك فالصحة والمال والخير والنعمة والحياة وغير ذلك مثل الذي حصل لقارون فجعله ينكر حق الله عليه فيه، فهو بدلاً من أن يعطي حقه يقول إنما أوتيه على علم عندي وليس لأحد فضل به[٦٣].

هذا هو الاستدراج الخطير، لأن أخذ هولاء العصاة الطغاة سيكون وبيلاً وهذا ما اخبرنا به البيان الإلهي عن الحال الذي آل إليه قارون بعد أن مارس البغي والطغيان بما لديه من مال ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ﴾ (٦٤). ويخاطب البيان الإلهي أمثال قارون من الذين سيأتون من بعده فيتعظون ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ (٦٥).

وقد جاء في السنة النبوية الشريفة العديد من الأحاديث عن الاستدراج للطغاة والعصاة. فعن عطية عن أبي سعيد (ﷺ) قال رسول الله (ﷺ) بينما رجل ممن كان قبلكم خرج في بردين أخضرين يختال فيهما أمر الله الأرض فأخذته فإنه يتجلجل فيها إلى يوم القيامة، وفي رواية أخرى "بينما رجل ممن كان فيكم خرج في بردين فأختال فيهما. فأمر الله الأرض فأخذته فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة(٦٦).

وفي حديث آخر من السنة النبوية الشريفة عن الاستدراج مروي عن الرسول (ﷺ) ترى فيه حال بعض الناس الذين يرون ما هم فيه من نعمة وخير وفير وغير ذلك من النعم إنما هي فتنة لهم ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ(٥٥)نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٦٧). وجاء في تفسير قوله تعالى أي أيظن هؤلاء الكفار أن الذي نعطيهم في الدنيا من الأموال والأولاد ﴿نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ (٦٨). أي هو تعجيل ومسارعة لهم في الإحسان. كلا ليس الأمر كما يظنون بل هو استدراج لهم. واستجرارٌ إلى زيادة الإثم ولهذا قال: ((بل لا يشعرون)) أي بل هم أشباه البهائم. لا فطنة لهم ولا شعور حتى يتفكروا في الأمر أهو استدراج أم مسارعة في الخير(٦٩).

وقد ذكر الحافظ محمد بن المنذر في كتاب العجائب الغريب بسنده عن نوفل بن ماهق قال رأيت شاباً في مسجد نجران فجعلت انظر إليه واتعجب من طوله وتمامه وجماله. فقال مالك تنظر إليّ. فقلت أعجب من جمالك وكمالك. فقال إن الله ليعجب مني. قال فما زال ينقص وينقص حتى صار بطول الشبر فأخذه بعض أقربائه في كمه وذهب به))(٧٠).

المبحث الثالث

استدراج المكذبين والمنافقين

فيما مضى تحدثنا بشيء من الإيجاز عن استدراج الله ﷻ للعصاة والطغاة والكفرة. ثم أخذه لهم بما قدمت أيديهم من سوء العمل. وعلى الرغم من أن موضوع الاستدراج لم يرد بشكل مباشر إلا في سورة الأعراف الآية [١٨١-١٨٢] والقلم الآية [٤٤]. واجمع علماء التفسير على ان الاستدراج يقع للطغاة والجماعات والأمم نحو العصيان ثم الهلاك وذلك بسبب تمردهم واستحواذ الشيطان عليهم[٧١]. فمن سنة الله تعالى في الاستدراج استدراج المكذبين بآيات الله تعالى قال ﷻ ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ(١٨٢)وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾[٧٢].

وجاء في التفسير العام لهذه الآية الكريمة ان الذين كذبوا بآيات الله ولم تنفعهم هداية الهادين كأهل مكة وغيرهم (سنستدرجهم) أي سنقربهم إلى الهلاك شيئاً فشيئاً (من حيث لا يعلمون) ما يراد بهم وذلك بإدرار النعم عليهم مع انغماسهم في الغي والتكذيب. فكلما جدد الله تعالى لهم نعمة ازدادوا بطراً وشراً وجدوا في المعصية فيتدرجون في المعاصي بسبب ترادف النعم عليهم ظانين أن ذلك من الله إكرام لهم وتقريب لهم منه. وإنما هذه النعم خذلان منه وتبعيد واستدراج (وأملي لهم) أي امهلهم ليزدادوا إثما (إن كيدي متين) سماه الله تعالى كيداً لأنه شبيه بالكيد من حيث انه في الظاهر إحسان وإنعام وفي الحقيقة خذلان ثم يأخذهم الله تعالى دفعة واحدة على حين غرة وهم اعقل ما يكونون[٧٣]. وما أكثر الشواهد على ذلك.

فإذن هناك ربط مابين المكذبين والمنافقين والعصاة والطغاة والكفرة فهم سواء في هذا القانون الإلهي الاستدراج طالما هو سنة من سنن الله تعالى في العباد[٧٤].

فلقد جاء في البيان الإلهي توضيحاً لهذا الربط قوله ﷻ ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[٧٥]. ثم يربط البيان الإلهي ربطاً مؤكداً ما بين الكذب والنفاق والاستدراج، يقول ﷻ ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [٧٦]. ﴿إِنَّ الَّذِينَ

كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ (٧٧).

﴿وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا (٣٨) وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ (٧٨). ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (٧٦) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ (٧٩).

قد يتسأل احد فيقول ما هو الربط بين هذه السور التي تدل على النفاق والكذب مع الآية التي تتحدث عن الاستدراج نقول لما كان الاستدراج هو الاستصعاد درجة درجة إلى الهلكة فهذه الآيات قدمت العديد من الشواهد إلى سقوط بعض من هؤلاء المكذبين والمنافقين في هاوية الاستدراج وسوف نحاول هنا استعراض بعض من هذه النماذج للدلالة على هذا الربط، فلقد جاء في تفسير قوله تعالى ﷻ مثلاً ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ (٨٠). قال قتادة هذا رجل من الأنصار قال: لئن رزقني الله شيئاً لأؤدين فيه حقه ولأتصدقن. فلما أتاه الله استدرج لأن المال فتنه ولكن أكثر الناس لا يعلمون مدى خطورة المال عليهم. فأحذروا الكذب فإنه يؤدي إلى الفجور.

ومن هؤلاء الذين استدرجوا ابو عامر الراهب وهو من الشخصيات التي لعبت دوراً بارزاً في استغلال مكانتها ومعارضتها الرسول (ﷺ) وهو من ابرز زعماء الاوس. وكان شريفاً مطاعاً في قومه وكان قد ذهب في الجاهلية ولبس المسوح(٨١). وقيل إن هذا المستدرج قد أتى رسول الله (ﷺ) حين قدم المدينة ... قال ما هذا الدين الذي جئت به؟ فقال له رسول الله (ﷺ) جئت بالحنيفيه، دين ابراهيم (عليه السلام) قال أبو عامر: فانا عليها. فقال له الرسول (ﷺ) انت لست عليها. قال بلى ... قال انك ادخلت يا محمد في الحنيفيه ما ليس منها(٨٢). ودفع استدراج هذا المنافق الى معاداة الرسول محمد (ﷺ) عداء علنياً، ودفعه ذلك الى مشاركته كفار قريش في معركة أُحد ضد الرسول (ﷺ)(٨٣).

واستمر أبو عامر الذي سماه رسول الله (ﷺ) بالفاسق في معاداة الرسول (ﷺ) على الرغم من معرفته بانه نبي هذه الامة حيث ذهب الى يهود خيبر واقام عندهم فترة

يحرضهم على الاسلام ورسوله، وهكذا استغل هذا المستدرج موقعه في قومه من الاوس الى تأليب المشركين من قومه، في المدينة والمشركين من قريش وحلفائها واخيراً اليهود. وبدلاً من ان يستغل مكانته لنصرة الدين والدفاع عنه اخذ يكيد له ولرسوله الدسائس والمؤامرات، فكان يظن هذا المستدرج ان ماله وجاهه ومكانته قد تنفع في تحقيق مآربه، بل انه شجع اتباعه على ان يبنوا له مسجداً عرف بـ (مسجد ضرار) من اجل ان يكونوا فيه ويجتمعون فيه بعيداً عن عيون المسلمين الا ممن هو على مثل رأيهم(٨٤).

وهكذا استمر أبو عامر الفاسق في غيه ؛ يذهب الى الشام من اجل التحالف مع الروم ضد الاسلام ورسوله بغية تحقيق اطماعه الدنيوية ويستعيد مكانته بين قومه والتي فقدها بسبب كفره ونفاقه(٨٥).

وجاء في الحديث الصحيح انه (ﷺ) قال: ((آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد اخلف وإذا اؤتمن خان))(٨٦). هذا هو الاستدراج الذي يقع فيه المكذبون والمنافقون وما قصة ابى عامر ألا خير دليل على تطبيق سنة الله تعالى في الاستدراج للمنافقين والمكذبين وغيرهم من أصحاب الأموال والمكانة والجاه.

ومن الشواهد الأخرى على طغيان المكذبين والمنافقين من الذين وقعوا تحت الاستدراج من دون أن يدركوا أن هذا الذي هم فيه سقوط في الهلكه والهاوية. وان ما عندهم من خير ونعيم وجاه وعزوه إنما هو فتنة لهم فإذا كان ابو عامر قد استدرج بسبب المال والمكانة والجاه فهذا عبدالله بن ابي بن سلول حبه للمال والسلطة جعله يستخدم ما لديه من قوة وجاه وسلطان ومال لمحاربة الإسلام ورسوله، دفعه ظنه الى ان ما فيه من قوة وخير إنما جاء بسبب محبة الله له. وهو لم يدرك أن وليه الشيطان هو الذي يدفعه إلى الاعتقاد بذلك(٨٧). ومن أمثال ابن سلول في عصرنا كثيرون.

وعبد الله بن أبي بن سلول كان زعيم الخزرج قبل دخول الإسلام المدينة وقد نصب ملكاً عليها وكان صاحب جاه ومال وفي بيته العدة والعدد وكان أمره في قومه كالدين المتبع بسبب ما يمتلكه من عصبيه قبلية(٨٨).

دفعه استدراجه نحو النفاق والكذب الى أن يعلن الإسلام ويبطن الكفر وأخذ يسيء إلى الإسلام ورسوله بكل ما أوتي من قوة وسلطان وجاه من أجل تعويق مسيرة الدعوة

الإسلامية في المدينة فأخذ يستغل النعمة التي منحها الله إياه لتشويه الإسلام ولما حصل له التوفيق في التفاف بعض المنافقين حوله ونمو الخيرات عنده واحترام الرسول (ﷺ) له في بداية الأمر ظن أن هذا توفيق من الله وكان يظن هذا الخائب أن الله معه[٨٩]. ومن خلال هذا الاستدراج الذي وقع فيه هذا المنافق. نرى أنه بدلاً من أن يتدرج نحو الخير وكسب رضا الله ﷻ عنه وأنفاق أموله وتسخير سلطانه نحو خدمة الإسلام ورسوله أخذ يدرج نحو السقوط. ففي كل مناسبة أخذ يسيء للرسول (ﷺ) وإلى الإسلام. فبعد معركة بدر أخذ يشكك بانتصار المسلمين على كفار قريش[٩٠]. ولما خان يهود بني قينقاع عهدهم مع الرسول (ﷺ) تدخل لحمايتهم وطلب العفو عنهم[٩١].

ويوم أحد إنخذل ومعه (٣٠٠) رجل من عشيرته ولم يحارب بجانب الرسول (ﷺ)[٩٢]. ولما حاصر المشركون المدينة يوم الخندق أخذ يشكك بقدرة المسلمين في الدفاع عن المدينة وشن حرباً نفسية على المسلمين المحاصرين من الداخل[٩٣]. وهكذا أخذ يفعل هذا المنافق المستدرج به من دون أن يعلم انه يسير إلى الهاوية والكيد به ولما خرج الرسول (ﷺ) إلى غزوة بني المصطلق كاد هذا المنافق أن يحدث شرخاً كبيراً بين المهاجرين والأنصار لولا حكمة الرسول (ﷺ) الذي قضى على هذه الفتنة[٩٤] في مهدها وفي المدينة لم يترك هذا المنافق أية مناسبة تحدث ألا واستغلها ضد الإسلام ورسوله وأخر أفعاله ما حصل يوم غزوة تبوك عندما انسحب وسحب معه جميع أعوانه المنافقين ما عدا مجموعة صغيرة أوكل إليها التخلص من الرسول (ﷺ)[٩٥]. أليس هذا استدراجاً نحو الهلاك؟ وجاء البيان الإلهي ليوضح هذه الحقيقة على لسان هؤلاء المنافقين وسيدهم ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [٩٦]. وجاء في تفسير قوله تعالى أن الله تعالى يقول لرسوله محمد (ومن المنافقين من يقول لك يا محمد (ائذن لي) في القعود (ولا تفتني) بالخروج معك بسبب الجواري من نساء بني الأصفر الروم (ألا في الفتنة سقطوا) أي وقعوا في الاستدراج المعد لهم بقولهم هذا. وبقول محمد بن إسحاق وهو احد المنافقين الذي كان يرى في نفسه العجب وهو من اشراف وكبرائهم الاوس والخزرج[٩٧].

وإذا أردنا الحديث عن استدراج المكذبين والمنافقين نحو الكفر والهلاك والمعصية لطال بنا الحديث ولتطلب المزيد من الشواهد والامثلة غيران ما قدمناه قد يكون كافياً لبيان

استدراج المكذبين والمنافقين، ولا بد لنا من الحذر الشديد من الاستدراج لأنه مهلك لمن يؤخذ به، فهو في ظاهره الخير وفي باطنه الشر والعياذ بالله.

المبحث الرابع
استدراج الأمم

تبين لنا فيما سبق عرضه أن سنة الله تعالى في الاستدراج استدراج العصاة والمكذبين والمنافقين أفرادا أو جماعات. وكذلك تجري سنته في استدراج الأمم والدول. ولقد قدم لنا القرآن الكريم العديد من الشواهد القرآنية على هذا النوع من الاستدراج. وسنحاول هنا عرض بعض من هذه الشواهد وسنأتي على بيان تفسيرها حتى يتبين لنا أن الحق تبارك وتعالى لا يريد ظلماً بالعباد، بل أن العباد هي التي تريد أن تظلم نفسها بأتباعها غواية الشيطان(٩٨).

قال ﷻ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ(٤٢) فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(٤٣) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عليهم أبواب كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ(٤٤) فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٩٩).

وجاء في التفسير، ثم يأخذهم بأيديهم ليوقفهم على مصارع الغابرين من أسلافهم وفي الطريق يريهم كيف تجري سنة الله وكيف يعمل قدر الله ويكشف لإبصارهم وبصائرهم عن استدراج الله لهم بعد تكذيبهم برسل الله، وكيف قدم لهم الابتلاء بعد الابتلاء بالبأساء والضراء ثم الابتلاء بالرضاء والنعماء. واتاح لهم الفرصة بعد الفرصة لينتهوا عن الغفلة حتى إذا استنفذوا الفرص كلها وغرتهم النعمة بعد أن لم توقظهم الشدة. جرى قدر الله. وفق سنته الجارية وجاءهم العذاب بغتة فـ (قطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين)(١٠٠).

وقوله ﷻ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ(٩٤) ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾(١٠١).

وجاء في التفسير أي أنهم انهمكوا في معاصيهم ولم يتعظوا بما نالهم من البأساء والضراء فلما لم يتعظوا (فتحنا عليهم أبواب كل شيء) من النعم الكثيرة فالرخاء وسعة الرزق مكر بهم واستدراج لهم، ولما لم يقوموا بحق المنعم (أخذناهم) عاقبناهم وأنزلنا بهم العذاب (بغتة) أي فجأة. أن ما جرى عليهم من النكال والإهلاك فإن إهلاك الكفار والعصاة من حيث أنه تخليص لأهل الأرض من شؤم عقائدهم الفاسدة وأعمالهم الخبيثة. نعمة جليلة يحق أن نحمد الله تعالى عليها(١٠٢).

وقال ﷻ ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ(١١٢) وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ (١٠٣).

وجاء في التفسير أن المقصود هنا أهل مكة من كفار قريش وهم الذين استدرجوا نحو الظلم والكفر بنعمة الله ﷻ. فبعد أن منّ الله عليهم بالأمان والاطمئنان والخير الوفير والعطاء الكريم. إلا أنهم جحدوا وكفروا لما جاءهم رسول منهم يتلو عليهم آيات الله بينات وبدل الإيمان به قالوا إن نؤمن لك ونتبعك نتخطف من أرضنا "أو لم يكن لهم حرماً أمناً تجبى إليه الثمرات من كل مكان"(١٠٤). فلما جحدت بآيات الله وكذبت الرسول رد الله عليهم ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ هكذا هي سنة الله في الأمم العطاء الوفير والخير العميم ثم الأخذ الوبيل المباغت بسبب ذالك الكفر والعناد والبغي.

وقال ﷻ ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا(١٦) وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ (١٠٥).

جاء في التفسير عند ابن كثير وغيره من المفسرين(١٠٦). قولهم اختلفت القراءة في قوله (امرنا) فالمشهور قراءة التخفيف واختلف المفسرون في معناها فقيل معناها امرنا

مترفيها ففسقوا فيها أمرا قدرياً كقوله تعالى ﴿أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا﴾ فإن الله تعالى لا يأمر بالفحشاء. قالوا معناه انه سخرهم كنتيجة لاستدراجهم إلى فعل الفواحش، فأستحقوا العذاب. وقيل معناها أمرناهم بالطاعات ففعلوا الفواحش بدلاً عنها فاستحقوا العقوبة. قال علي بن طلحة عن آبن عباس (ﷺ) قوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا﴾ وكذا قال أبو العالية مجاهد بن الربيع ابن انس في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ : أكثرنا عددهم ونعمهم وسلطانهم. وقد استشهد معظمهم بالحديث النبوي الشريف الذي رواه الإمام احمد إذ قال حدثنا روح بن عبادة حدثنا أبو نعيم عن النبي (ﷺ) انه قال ((خير مال امرئ له مهرة مأمورة او سكة مأبورة)) وقيل (المأمورة كثيرة النسل والسكة الطريقة المصطفة من النخل، والمأبورة من التأبير)[١٠٧]. كلها تدل على معنى مشترك هو الاستدراج في الأفعال.

قوله تعالى ﷻ: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ(٤٨) قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [١٠٨].

وجاء في تفسير قوله تعالى: إن هذه القرى بعد أن أغناها الله من فضله ونعمه وأمرها بالدعوة إلى الخير استدرج الشيطان أهلها إلى الظلم ثم الطغيان على الناس مما جعلها تتحول إلى قرية ظالمة كافرة بأنعم الله عليها ولما جاءها رسول يدعوها إلى الخير والعدل والتوحيد كفرت ولما كانت سنة الله من المستدرجين استحقاق العذاب وقع عليها العذاب والهلاك نتيجة لأفعالها وبغيها[١٠٩].

قوله تعالى ﷻ: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [١١٠].

وجاء في تفسير هذه الآية أو السورة (النحل) بأكملها أنها عبارة عن استعراض لنعم الله تعالى على العباد وآياته في الكون واستخلافه للناس. وهم يجحدون بآيات الله ولا يشكرونه ويدفعهم استدراجهم الى الكفر والهلاك. وفي هذه النعم أنموذج لمثل هذه الحالة

التي يسأل العبد فيها ربه أن يوفقه لأن يشكر نعمه عليه، المتدبر لآيات الله التي يجب إلا يغفل عنها ولا تبطره النعمة ولا تطغيه القوة. والمناسبات عديدة في سورة النحل[١١١].

وفي قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ [١١٢].

وجاء في التفسير إن النعمة والخيرات التي ينعم الله بها على القرى والمدن وعلى ملوكها وأمرائها غالباً ما تدفعهم إلى الظلم ثم البطر ومن ثم إلى الكفر والجحود وهي حالة استدراج لمثل هذه القرى التي يظلم أهلها من يسكن فيها من العباد. ويقول المفسرون وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد لأهل مكة وكفارها من قريش الذين اصابوا أهلها بظلمهم وفجورهم وبطشهم على الضعفاء والفقراء والمساكين من أهلها. وجاء هذا بسبب النعمة والخير والقوة والعُدد التي يمتلكونها فهو استدراج لهؤلاء ولكن من دون أن يشعروا[١١٣].

إن القرآن الكريم عندما يقدم صورة يستعرض فيها حالة الاستدراج لقرية أو أمة، والمقصود بها إعطاء أنموذج لنا لمن يأتي من بعدها على حالة الاستدراج التي وقع بها هؤلاء وكيف كانت العاقبة.

المبحث الخامس

سنة الله تعالى العامة في المستدرجين

ومن آيات الاستدراج التي ذكرناها في المباحث السابقة يتبين لنا إن سنة الله تعالى في المستدرجين امهالهم بعد أن لم يتعظوا بما امتحنهم الله به من صنوف البأساء والضراء أو بما امتحنهم به من النعم أو بعد أن كذبوا بآيات الله التي من شأنها أن تحمل المتأمل فيها على الإيمان وان سنة الله تعالى في هؤلاء مدة أمهالهم إن يوسع عليهم الرزق والخيرات ويزيد عليهم الرفاء الذي هم فيه ويعطيهم ما يتمنون من النعم على وجه الاستدراج لهم وزيادة أثمهم لمقابلتهم هذه النعم بالمعاصي[١١٤].

لابد أن تقابل نعم الله تعالى بالشكر وهذا هو منهج المؤمنين ومسلكهم في الحياة الدنيا. فكل نعمة يعطاها المؤمن يجب أن يقابلها بطاعة جديدة وشكر جديد فإذا غفل عن

هذا ونسي شكر النعمة بشكر المنعم فهْو مقصر وغافل[١١٥]. فإذا قابل النعمة بالمعصية فهو مستدرج والحاصل بين المقصر والمستدرج خيط دقيق جداً. فإن المقصر في شكر النعمة غفلة منه وجهلاً قد ينزلق إلى منحدر الاستدراج. ولذلك كان العارفون يخشون على أنفسهم (الاستدراج) وان يكونوا مستدرجين إذا توالت عليهم النعم مع احتمال تقصيرهم في شكرها فيكون ذلك علامة استدراجهم. ولهذا قال الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) لما حملت إليه من كنوز كسرى: اللهم أني أعوذ بك أن اكون مستدرجاً. فإني أسمعك تقول: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [١١٦]. وقال الحسن البصري (ﷺ) (كم مستدرج بالإحسان إليه، وكم مفتون بالثناء عليه وكم مغرور بالستر عليه)[١١٧].

وختاماً نقول وعلى هذا ينبغي للفرد المسلم والجماعة المسلمة والأمة بمجموعها ألاّ يغتروا بنعم الله عليهم وان يخافوا على أنفسهم من أن يكون تواتر النعم عليهم استدراجاً لهم وليس أكراما وإنعاما لهم والذي يرجح أن هذه النعم إكرام لهم من الله تعالى مسارعتهم إلى شكرها بشكر المنعم عليها بالقيام بحق نعم الله ووضعها في مواضعها والزيادة في طاعة الله والإيمان بما يحبه من الجهاد في سبيله والموت من اجل ان يرفع شأن دينيه ومن الأحاديث النبوية الشريفة التي تحث على تجنب الاستدراج وألا فالعواقب وخيمة مؤلمة وهناك على ذلك شواهد عديدة كم من أمم زالت وملوك لعنت ورؤساء وأمراء فتنت فكان مصيرهم عبرة لمن يخشى أن يستدرج من يأتي بعدهم. ويجب ان يكون نصب أعينا قوله تعالى ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾.

والاستدراج ما ذكر عن الرسول (ﷺ) انه قال ((لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل: عن عمره فيم أفناه وعن علمه فيما فعل وعن ماله من أين اكتسب وفيم أنفقه وعن جسمه فيم أبلاه))[١١٨]. فالاستدراج هنا فتنة توقع الإنسان في المهالك إذا خالف نهج الإسلام وشرعه والفطرة التي فطرها الله عليه.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

اولاً: المصادر

الآلوسي روح العاني في تفسير العاني (القرآن العظيم)، د/ ط، (مصر، ١٨٨٣م).
ابن كثير ابو الفداء اسماعيل/ عماد الدين
تفسير القرآن العظيم، ط٢ (القاهرة، ١٩٥٤م).
ابن منظور ابو الفضل محمد بن مكرم بن علي
لسان العرب المحيط، تصنيف، يوسف خياط، د/ ط (بيروت، ١٩٥٦).
البرسوي اسماعيل حق
تفسير روح البيان، د/ ط (در سعارت، ١٣٣٠هـ).
البيضاوي ناصر الدين ابو سعيد عبد الله عمر بن محمد الشيرازي
تفسير البيضاوي، د/ ط (دار الجبل، ١٣٢٩هـ).
الخازن علاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم
تفسير الخازن، د/ ط (بيروت، د/ ت).
الرازي الامام فخرالدين،
التفسير الكبير، د/ ط (طهران، د/ ط).
الرازي محمد بن ابي بكر بن عبد القادر
مختار الصحاح، ط١ (بيروت، ١٩٧٩).
الراغب الاصفهاني، ابو القاسم الحسن بن محمد
المفردات من غريب القرآن ، تح، محمد سيد كيلاني د/ ط (بيروت، د/ ت).
الزبيدي محمد مرتضى
الزمخشري تاج العروس، د/ ط (بنغازي، د/ ت).
جار الله ابو القاسم محمود بن عمر
اساس البلاغة، د/ ط، د/ م
الصابوني تفسير الكشاف، د١، (القاهرة، د/ ت).
محمد علي

الطبري	صفوة التفاسير، طبعة ملونة (بيروت، ٢٠٠٠م).
محمد بن جرير، ابو جعفر
الطوسي	جامع البيان من تأويل آين القرآن، ط٢ (مصر، ١٩٤٥م).
الفيروز	تفسير التبيان، تح، احمد حبيب قصير العاملي، د/ ط (النجف، ١٩٦٥).
آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب
القرطبي	القاموس المحيط، د/ ط (بيروت، د/ ت).
ابو عبد الله محمد بن المجد الانصاري
الجامع لأحكام القرآن، د/ ط، (بيروت، ١٩٦٥).

ثانياً: المراجع

البستاني	المعلم بطرس
قطر المحيط، د/ ط (لبنان، د/ ت).
البوطي	محمد سعيد رمضان
كبرى اليقينات، د/ ط (دمشق، ١٩٩٧).
رضا	محمد رشيد
تفسير القرآن الحكيم (المنار)، ط٢ (بيروت، د/ت).

زيدان	عبد الكريم
السنن اللاإلهية، د/ ط (دار حسان، د/ ت).
سيد قطب	في ظلال القرآن، ط٥ (بيروت)، ١٩٦٧م.
مصطفى	ابراهيم وآخرون
المعجم الوسيط، اشراف عبد السلام، هارون، د/ط (طهران، د/ ت).
الهسنياني	محمد ابراهيم
المال في نظر الاسلام، د/ط (موصل، ١٩٩٧).

هوامش البحث

(١) ابن منظور، أبو الفضل، محمد بن مكرم، لسان العرب المحيط صححه، يوسف خياط، (بيروت: د. ت)، مادة درج ٣/ ٩٦٣-٩٦٦.

(٢) المصدر نفسه، الموضع نفسه.

(٣) ينظر الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح ط١ (بيروت: ١٩٧٩) مادة درج ٢٠٢-٢٠٣.

(٤) ينظر حول ذلك الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر، أساس البلاغة، مادة درج ٢٦٧.

(٥) ابن منظور، لسان العرب.

(٦) ابن منظور، لسان العرب، الموضع نفسه، ينظر كذلك مصطفى إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، اشراف عبد السلام هارون، (طهران، د. ت) ٢٧٧/١.

(٧) الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس، (بنغازي، د. ت) مادة درج (٤٠/٢ -٢).

(٨) البستاني، المعلم بطرس، قطر المحيط، (لبنان، د. ت) ٦١٦/١ ، ٦٢٠.

(٩) أبن منظور، لسان العرب، الموضع نفسه.

(١٠) ابن منظور، لسان العرب، مادة درج ٩٦٣/٣.

(١١) سورة الاعراف، آية ١٨١-١٨٢.

(١٢) أبن منظور، لسان العرب، الموضع نفسه.

(١٣) الزبيدي، تاج العروس، مادة درج، ٤٠/٢-٤١.

(١٤) أبن منظور لسان العرب، المكان نفسه، الزبيدي: تاج العروس، المكان نفسه.

(١٥) الزمخشري، اساس البلاغة، ٢٦٧، الرازي مختار الصحاح، مادة درج ٢-٢-٤-٢.

(١٦) الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، (بيروت، د. ت) ٦٨/١-٧٠.

(١٧) سورة الاعراف، الآية ١٨٢.

(١٨) الطبري، محمد بن جرير، ابو جعفر، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، ط٢(مصر، ١٩٤٥) ٣٥/٩ ، ١٤٠.

(١٩) البيضاوي، ناصر الدين ابو سعيد عبدالله عمر بن محمد الشيرازي، تفسير البيضاوي، (دار الجيل، ١٣٢٩هـ) ١٨١-١٨٢.

(٢٠) الزمخشري، جاد الله ابو القاسم، الكشاف، ٢/٨٤، ٤/٥٩٢-٥٩٦.

(٢١) القرطبي، ابو عبد الله محمد بن المجد الانصاري، الجامع لأحكام القرآن، (بيروت، ١٩٦٥م) ٧/٣٢٦ ، ٣٣.

(٢٢) ابن كثير، ابو الفداء اسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط٢ (القاهرة، ١٩٥٤م) ٢/٢٧٠-٢٧٢.

(٢٣) البرسوي اسماعيل حقي، تفسير روح البيان، (درسعارت ١٣٣٠ هـ) ٣/٢٨٨-٣١٠.

(٢٤) الطوسي، تفسير التبيان، تح، احمد حبيب قصير العاملي، (النجف، ١٩٦٥) ٥/٤٢-٤٥.

(٢٥) الالوسي تفسير ٩/١٢٦-١٣٠.

(٢٦) رضا، محمد رشيد، تفسير القرآن الحكيم، ط٢ (بيروت، د. ت) ٩/٤٥٠.

(٢٧) سيد قطب، في ظلال القرآن، ط٥ (بيروت، ١٩٦٧م) ٣/٩/١٢٢.

(٢٨) الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم، تفسير الخازن، (بيروت، د. ت) ٢/١٥٥-١٥٦.

(٢٩) ينظر الطبري، جامع البيان، ٩/١٣٥-١٣٦.

(٣٠) الراغب الاصفهاني، ابو القاسم بن محمد، المفردات من غريب القرآن، تح: محمد سيد كيلاني، (بيروت، د.ت) ١٦٧.

(٣١) الرازي الامام فخر الدين، التفسير الكبير، (طهران، د.ت) ١٥/٧٤ البيضاوي، تفسير، ٩/٢٣٠-٢٣٢.

(٣٢) ينظر السور الآتية: الأعراف ١٠٣-١٣٧، يونس ٧٥-٩٥، هود ٩٦-٩٨، الاسراء ١٠١-١٠٣، طه ٩-٧٩، المؤمنون ٤٥-٤٨، الفرقان، ٣٥-٣٦، الشعراء ١٠-٦٨، النحل ٧-١٤، القصص ٣-٤٣، العنكبوت ٣٩-٤٠، الصافات ١١٤-١٢٢، غافر ٢٣-٤٦.

(٣٣) ينظر: تفسير ابن كثير، الاعراف، ٢/٢٧٠-٢٧٥، محمد رشيد رضا تفسير، المنار، ٩/٤٥٠-٤٦٥.

(٣٤) سورة يونس، الآية ٨٨.

(٣٥) للمزيد ينظر الطوسي، التبيان، ١١/ ٤٢٢-٤٢٥.

(٣٦) الأعراف، الآية ١٧٢.

(٣٧) الطوسي، التبيان، ١١/ ٤٢٢-٤٢٥، محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ٩/ ٣٨٠-٣٩٠.

(٣٨) للمزيد ينظر سيد قطب، في ظلال القرآن، ورد المصدر سابقاً، م٣، ٩/ ١٠٢-١١٥.

(٣٩) الأعراف الآية، ١٨١-١٨٢.

(٤٠) للمزيد ينظر ابن كثير، تفسير، ٢/٢٧٠-٢٧٥، سيد قطب م٣/٩/١٢٢ وما بعدها، محمد رشيد رضا، تفسير المنار ٩/٤٥٠-٤٥٥، الخازن، تفسير، ٢/١١٦-١٢٠ الطبري، جامع البيان، ٩/١٣٥-١٤٠.

(٤١) سورة طه الآية: ٢٥.

(٤٢) للمزيد ينظر سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ٩/ ١٢٢- ١٣.

(٤٣) سورة الشعراء الآية: ٢٩.

(٤٤) سورة الأعراف الآية ١٨١.

(٤٥) للمزيد ينظر أبن كثير، تفسير، ٢/٢٦٩-٢٧٠، القرطبي، الجامع، ٤/٣٢٩.

(٤٦) سورة الاعراف الآية، ١٨١.

(٤٧) سورة الأعراف، الآية، ١٣٠.

(٤٨) سورة الأعراف، الآية، ١٣٣.

(٤٩) القرطبي، المكان نفسه، الزمخشري، الكشاف، ٢/١٨٢-١٨٥. الخازن، تفسير الخازن، ٢/١١٦-١٢٠، الصابوني، محمد علي. صفوة التفاسير، طبعة ملونة (بيروت/٢٠٠٠م) ١٥٠.

(٥٠) ينظر الهامش الاول. ينظر كذلك البرسوي، تفسير روح البيان ٣/٢٦٨-٢٧٠.

(٥١) سورة الأعراف الآية، ١٣٤.

(٥٢) سورة يونس الآية، ٩١.

(٥٣) سورة يونس الآية، ٩٢.

(٥٤) سورة يونس الآية، ٩٢.

(٥٥) أبن كثير، تفسير، ٢/٢٧٠، الطوسي، التبيان، ١١/٤٢٨.

(٥٦) الطوسي، التبيان، ١١/٤٢٨-٤٣٠.

(٥٧) زيدان، عبد الكريم، السنن الإلهية، (دار حسان) ٢٣٢.

(٥٨) سوره القصص الآية ٧٦-٨٢.

(٥٩) سورة القصص الآية ٧٦-٧٧-٨٢.

(٦٠) ينظر الهسنياني، محمد ابراهيم، المال في نظر الاسلام، (موصل، ١٩٩٧م) ٢٩-٣٠.

(٦١) للمزيد انظر أبن كثير، تفسير، ٣/٣٩٩-٤٠١.

(٦٢) سورة القصص الآية، ٧٦-٨٢.

(٦٣) حول ذلك ينظر أبن كثير، تفسير، ٣/٣٩٩-٤٠٠، البرسوي، روح البيان، ٣/٢٠١.

(٦٤) سورة القصص الآية، ٨١.

(٦٥) سورة القصص، الآية، ٧٨.

(٦٦) ينظر ابن كثير، تفسير، ٢/٣٩٩-٤٠١. تفرد به احمد وإسناده حسن.

(٦٧) سورة المؤمنون الآية، ٥٥-٥٦.

(٦٨) سورة المؤمنون الآية، ٥٥-٥٦.

(٦٩) الصابوني، صفوة التفاسير، ٢/٢١٤-٢١٥.

(٧٠) نقلاً عن ابن كثير، تفسير، ٣/٤٠٠-٤٠١.

(٧١) ينظر القرطبي، الجامع، ٨/٣٢٩، ابن كثير، ٢/٢٦٩-٢٧٠ سيد قطب، في ظلال القرآن، م ٣/٩١٣ ١٢٢-١٢٤.

(٧٢) سورة الاعراف الآية، ١٨١-١٨٢.

(٧٣) للمزيد انظر زيدان، السنن الإلهية، ٢٣٢-٢٣٤.

(٧٤) المصدر نفسه وحول ذلك انظر البوطي، محمد سعيد رمضان، كبرى اليقينيات، (دمشق، ١٩٩٧م): ٧٧ وما بعدها.

(٧٥) سورة النحل الآية، ١٠٥.

(٧٦) سورة التوبة الآية، ٧٧.

(٧٧) سورة الأنفال الآية، ٣٦.

(٧٨) سورة النساء الآيتان، ٣٨-٣٩.

(٧٩) سورة التوبة الآيتان، ٧٧-٧٨.

(٨٠) سورة التوبة الآية، ٧٧.

(٨١) البلاذري، احمد بن يحيى، انساب الأشراف، تح، محمد حميد الله، د/ط (مصر: ١٩٥٩) ٢٨١/١.
(٨٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ٢١٧/٢.
(٨٣) المصدر نفسه، ١٤٠١٢/٣.
(٨٤) ينظر: الواقدي، المغازي، ١٠٤٩/٣.
(٨٥) ينظر: هادي، رياض هاشم، حركة النفاق في المدينة (بحث منشور في مجلة آداب الرافدين/ كلية الآداب، جامعة الموصل، العدد (٢٣/١٩٩٢م) ٣٩٣-٣٩٥.
(٨٦) ينظر ابن كثير، والبياتي، حميد بشير، النظم الإسلامية، (بغداد، ١٩٨٧م) ٦٧-٦٨.
(٨٧) عن هذا الموضوع انظر ابن الجوزي، الإمام جمال الدين أبا الفرج تلبيس إبليس، (بغداد، ١٩٨٨م) ٧٧ ومواقع عديدة.
(٨٨) للمزيد ينظر ابن هشام، أبو محمد عبد الله بن هشام، سيرة النبي، تح: محمد محيي الدين النبي، (بيروت، د.ت) ١٤١/٢-١٤٢.
(٨٩) أبن هشام' سيرة النبي، ١٨/٣-٢٥.
(٩٠) الواقدي محمد بن عمر بن واقد، المغازي، تح، مارسدن جونس، (بيروت، د.ت) ١٧٦/١.
(٩١) أبن هشام، سيرة النبي، ٤٢٦-٤٣٠.
(٩٢) للمزيد ينظر الواقدي، المغازي، ١٩٩/١- ٢٠٠.
(٩٣) للمزيد ينظر أبن هشام' سيرة النبي، ٧٠/٣- ٧٥.
(٩٤) الواقدي، المغازي، ١١٠/٢- ١١٥.
(٩٥) للمزيد ينظر أبن قيم الجوزية، أبو عبد الله، زاد المعاد في هدي خير العباد، (القاهرة، ١٩٢٨م) ١١٢/٢- ١١٥.
(٩٦) سورة التوبة الآية، ٤٩.
(٩٧) ينظر أبن كثير، تفسير' ٣٦١/٢- ٣٦٢.
(٩٨) ينظر مفهوم الاستدراج عند علماء اللغة تحت مادة درج منهم الزمخشري، الكشاف، ١٨٤/٢-١٨٦ وسيد قطب، في ظلال القرآن، م٣، ١٢٢/٩.
(٩٩) سورة الأنعام، الآية، ٤٢- ٤٥.

(١٠٠) للمزيد ينظر سيد قطب، في ظلال القرآن، م٣/٧/ ٢٠٦ وينظر كذلك زيدان السنن الإلهية، ٢٣٤.

(١٠١) سورة الأعراف الآية، ٩٥.

(١٠٢) للمزيد ينظر الآلوسي، تفسير، ٧/١٥١- ١٥٥.

(١٠٣) سورة النحل الآية، ١١٢.

(١٠٤) ابن كثير، ٣/٥٨٨-٥٩٠.

(١٠٥) سورة الإسراء الآية، ١٧.

(١٠٦) ينظر ابن كثير، تفسير، ٣/٣٣-٣٥، الطوسي، تفسير التبيان، تفسير سورة الإسراء رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، تفسير سورة الإسراء والبيضاوي تفسير سورة الإسراء وغيرهم.

(١٠٧) ينظر ابن كثير، تفسير، ٣(٣٣-٣٥).

(١٠٨) سورة الحج الآية، ٤٩.

(١٠٩) للمزيد ينظر ابن كثير، تفسير، ٣/ ٢٢٨-٢٣٠.

(١١٠) سورة النمل الآية، ٣٤.

(١١١) للمزيد ينظر سيد قطب، في ظلال القرآن، م٦ : ١٩/١٣٥- ١٣٧.

(١١٢) سورة محمد الآية، ١٣.

(١١٣) ابن كثير، تفسير، ٤/ ١٧٥-١٧٦.

(١١٤) زيدان، السنن الإلهية، ٢٣٥.

(١١٥) للمزيد حول ذلك ينظر الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين (القاهرة، ١٩٦٧) ٢/ ٦٠-٦٥.

(١١٦) سورة الأعراف الآية، ١٨١- ١٨٢.

(١١٧) ينظر القرطبي، الجامع، ١٨/ ٢٥١- ٢٥٢.

(١١٨) رواه الترمذي عن أبي برزة الأسلمي، الجامع الصحيح، ج٤، رقم الحديث ٢٤١٧ ص ٥٢٩.